مفهوم الانزياح في الفكر العربي

The concept of Al Inziyah (Deviation) in Arabic Thought

Muhammad Waqar Ahmed
Research Scholar, MS Shariah AIOU, Islamabad
findwaqar@gmail.com

Muhammad Saleem
PhD Scholar, Arabic Department NUML Islamabad
Saleem.muhammad14@gmail.com

ABSTRACT

Al Inziyah is a rhetoric device that is a shifting and deviation of word form the norm or what is required by the apparent , or it is departing from the standard for a purpose intended by the speaker and it may be unintended from it, but in both cases the text serves in one form to another . It is basically method of shifting from linguistic rule.Many writers have regarded Deviation or Al Inziyah as the essence of creativity, and that is why we find it accessible in many areas or fields. We hardly find a book in literature, rhetoric, or grammar, but it has been touched on, so Al Inziyah (displacement or deviation) is therefore a very broad concept that must be addressed. This article illustrates various concept of Al Inziyah or Deviation in different fields.

Key Words: Rhetoric Device, Deviation , linguistic, Displacement, Apparent.

مفهوم الانزياح في الفكر العربي

إنّ هذا المصطلح " الانز ح" قديم كثير الورود في كتب النّقد والبلاغة، أي الكتب التراثية بصفة عامة انطلاقا من سيبويه وابن جنّي مرورا بعبد القاهر الجرجاني وابن الأثير وغيرهم.

لغة:

وردت لفظة زيح في لسان العرب بمعنى:زَاح الشّيء وانزاح: ذهب وتباعد، وأزحته وأزاحه غيره.

"ابن بري قوله: هنّأ أي أطعمنا، والشّعث: أولادها، والرّبد: النّعام، والرّبدة: لونها والرّ ل:ط جمع رأل وهو فرخ النّعام" [1].

وجاءت مادة زيح في مقاييس اللغة لابن فارس بمعنى:"زَيَحَ وهو زوال الشّيء وتنحيه ".[2]

أمّا الزّمخشري في معجمه أساس البلاغة، فقد جاء الانز ح بمعنى: "زيح: أزاح العلل، وأزحت علّته فيما احتاج إليه، وزاحت علّته وانزاحت، وهذا ممّا تزاح به الشّكوك من القلوب"[3].

ولا تختلف المعاجم الحديثة كمعجم الوسيط، أو القاموس المحيط، على لسان العرب في كيدهم على دلالة البعد عند التعرض للفعل "نَزَحَ"، فجاء بمعنى زاح ــزَيْ ِ حًا، وزُيُوحًا و زيحا ً: تباعد وذهب، اللثام: كشفه، أزاح: أبعده وأذهبه، انزاح انز حا: زاح". [4]

أما إذا عد إلى القاموس الموسوعي"لاروس" وبحثنا في مادة "Ecart" لوجد دقّة أكبر في تحديد المصطلح، إذ أنّ الانز ح هو حركة عدول عن الطريق أو خط السّير

هذا لغو ، أمّا أدبيّا في القاموس نفسه فإنّ الانز ح يعني فعل االكلام الذي يبتعد عن القاعدة.

اصطلاحا:

يكاد الإجماع ينعقد على أنّ الانز ح هو خروج عن المألوف أو ما يقتضيه الظاهر، أو هو"الخروج عن المعيار لغرض يقصد إليه المتكلّم" [5]، وقد يكون دون قصد منه غير أنّه في كلتا الحالتين يخدم النّص بشكل أو خر وبدرجات متفاوتة.

كما ورد نفس المفهوم عند علماء الأسلوب أمثال ليوسبتزر الذي يعتبر الأسلوب" انحرافا فرد لقياس إلى قاعدة"[6]، فلا يمكن الخروج أو الانحراف عن الكلام العادي إلاّ بوجود الأصل الذي يعدل عنه أو معيارا يُنزاح عنه، "وهو المفهوم كذلك الذي أشار إليه يوسف أبو العدّوس حيث اعتبر الأسلوب انز حا عن قاعدة الاستعمال اللغوي"[7]، وهو بهذا يجعل الأسلوب ظاهرة لا تخرج عن مفهوم الانز ح حيث يوضّح منذر عياش مفهومه للانز ح من خلال العلاقة بين اللغة المعيار والأسلوب المنزاح.

ولقد عدّ الكثير من الأسلوبيين الانز ح جوهر الإبداع، ولهذا فإنّنا نجده متناول في عدّة مجالات أو علوم، فلا نكاد نجد كتاً في الأسلوبية أو البلاغة أو النّحو إلاّ وقد تطرّق إليه، فالانز ح إذن "مفهوم واسع جدًّا ويجب تخصيصه"[8] كما يقول جون كوهن، كما تجدر الإشارة إلى أنّ هذا الأخير هو المنظّر الأوّل للانز ح، فقد قام بصياغة لسانية لنظرية كاملة للانز ح وأشهرهاـ "كما يقرّ بذلك الباحث محمّد العمريـ وذلك في كتابه "بنية اللغة الشعرية"، وقد خرج من هذا البحث بنتيجة مفادها أنّ الصوّر البلاغيّة كلّها إنّما تعمل بخرقها الدّائم لسنن اللغة" [9].

فالانز ح يعمل حينئذٍ هو الآخر على خرق قوانين اللغة في مرحلتها الأولى، "لتليها المرحلة التأويلية، فهو لا يخرق اللغة إلاّ ليعيد بناءها من جديد، لأنّ "الانز ح ليكون شعر ينبغي أن يتّبع إمكانيات كثيرة لتأويل النّص وتعدّديته"[10].

"فالمستوى المثالي هو ما أقرّت به القواعد النّحويّة واللغوية، وهو المستوى الذي يهتمّ به البلاغيون في إقامة مباحثهم"[11]، أو بعبارة أخرى يطلق على المستوى المثالي لمستوى العادي، "والمستوى المنحرف عنه هو المستوى الفنّي الخاص هل البلاغة، فهذه الأخيرة تقف عند الصّورة الفعليّة للكلام.

بينما يرى حسن ظم أنّ "الانز ح يبحث في لغة جميع الشعراء عن العنصر الثابت رغم اختلاف لغاتهم، فهو غير مختّص ولا فردي، بل إنّه يرتبط بثنائيّة القاعدة / العدول، التي انبثقت من البلاغة القديمة والتي تبنّتها الأسلوبيّة فيما بعد"[12]، وهي الثنائيّة التي قامت عليها نظرية الانز ح عند جون كوهن، أو كما يسميها:
المعيار/ Le norme، الانز ح/ L'écart ممّا يجعلنا نعتبر أنّ معرفة نوعية المعيار هو مفتاح الانز حات، وهذا ما يقود إلى طرح الإشكالية التّاليّة : على أيّ معيار سيُحدّد انز ح الشّعر؟.

وهو ما جعله يرفض فكرة(الشعر هو نثر موزون)، بل يعتبر الشعر مناقض تمامًا للنثر لكونه خالٍ من الانز ح ويخصّ بذلك النّثر العلمي، إذ أنّ لغته لغة تفتقر إلى ما تمتاز به اللغة الفنيّة من سمات، وإذا وجد فيها انز حًا فهو قليل بل يكاد يكون منعدمًا، ولذلك فإنّها تُعدّ هي معيار الانز ح.

أمّا عن المرادفات الخاصّة بهذا المصطلح فسنوضّحها فيما بعد في العنصر الخاص شكالية المصطلح.

1. إشكالية تعدد المصطلح:

"يعدّ تحديد المصطلح أمرٌ هامٌ في مجال البحث العلمي،ولعلّ الأمر الملفت للانتباه هو أنّ مصطلح الانز ح أحد المصطلحات الغير مستقرّة، فقد تعدّدت تسمياته حتى أنّ القارئ يظنّ أنّه يتعامل في كلّ مرّة مع مصطلح جديد، لهذا كان لابدّ من عرض أهمّ المصطلحات الدّالة على مفهومه، مع التّركيز على أبرزها وأكثرها تداولا، فلا يمكن الاستدلال على مفهوم ما دون رصد مصطلحاته عتبار أنّ معرفة المصطلح مفتاح العلم.

وتجدر بنا الإشارة إلى أنّ مصطلح الانز ح هو ترجمة لكلمة "écart" وهو مصطلح حديث النّشأة متأخّر في الظّهور، إلاّ أنّه كمفهوم ضارب في التّاريخ سواء عند العرب أو عند الغرب كما ذكر آنفا.

"في حين يرى بعض الدّارسين أنّ مصطلحات "العدول" هو أحسن ترجمة لمفهوم "écart" مثل الباحث حمادي صمود" [13].

ولعلّ هذا راجع لانتشار مصطلح "العدول" في نقد العربي، فهو أقوى المصطلحات القديمة تعبيرا عن الانز ح، إلاّ أنّ هناك فئة أخرى من الدّارسين العرب فضّلوا مصطلح "الانحراف" واعتمدوه في دراساتهم.

"ومن خلال هذا أصبحت مصطلحا الانز ح، العدول، الانحراف، تمثّل أهمّ المصطلحات التي تعبّر عن نفس المفهوم الذي نحن بصدده، حتى أنّ مجمل المفاهيم المرتبطة بهذه المصطلحات الثلاثة تنضوي تحت تسمية واحدة وهي "نظرية البعد" التي تعني البعد عن النثر والانحصار في دائرة الشّعر كون الانز ح لصيق بهذا الأخير"[14].

أمّا بقيّة المصطلحات السّابق ذكرها فلا ترقى إلى مستوى هذه الثلاثة مع أنّها قريبة من المفهوم، لذلك لابدّ من الوقوف عند مصطلحي العدول والانحراف لنترصّد بعض النّقاد والدّارسين الذين استعملوهما في دراساتهم.

2-1/ العدول:

إنّ هذا المصطلح قديم كثير الورود في كتب النّقد والبلاغة، أي الكتب التراثية بصفة عامة انطلاقا من سيبويه وابن جنّي مرورا بعبد القاهر الجرجاني وابن الأثير....إلخ، "وقد اعتمده الكثير من المحدثين نذكر منهم مصطفى السّعدني وعبد صولة وعبد السلام المسدي، الذي أكدّ على أنّ مصطلح الانز ح يقابل في الأجنبية "L`écart" غير أنّ المترجمين وجدوا صعوبة في ترجمة هذا المصطلح إلى العربيّة لأنّه غير مستقّر في صورته، لذلك لم يرض به الكثير من علماء الأسلوب وروّاد اللّسانيات، في حين لجأ البلاغيون والنّحويون إلى إحياء لفظة غريبة قديمة وهي (العدول)" [15].

وأعطى أمثلة كثيرة عن ذلك منها قول الشاعر:

لحقت حلاق بهم على أكسائهم * * * ضربُ الرّقاب ولا يهمّ المغنم

"فحلاّق" معدول عن الحالقة وإنّما يريد بذلك المنيّة لأنّها تلحق"[16].

منها ما استعمله ابن سينا في قوله:"فإنّ العدول عن المبتذل إلى الكلام العالي الطبقة، والتي يقع فيها أجزاء هي نكت درة هي في الأكثر بسبب التزيين لا بسبب التبيين". [17]

2-2/ الانحراف:

أمّا الانحراف فهو الترجمة للمصطلح "Déviation" والتي يبدو أنّها شاعت أكثر من غيرها، وهذا المصطلح موجود في اللغتين الفرنسية والانجليزية، غير أنّه أكثر ورودًا في الانجليزية.

"لقد وضع روحي البعلكي لهذا المصطلح ترجمتين هما انحراف وشذوذ "Déviation" لانحراف والعدول"[18]، وهناك فريق لث ترجمه لشذوذ فقط منهم مجدي وهبة حيث شرح هذا الشذوذ نّه:"الخروج على القاعدة ومخالفة القياس"، وذلك كجمع فارس في العربية على فوارس والقياس أن يكون جمعًا لفارسة[19]" ويرد عند حازم القرطاجنّي ذكر للفظ الانحراف في قوله: "فأمّا ما يجب في طريقه الجدّ فالانحراف في ما كان من الكلام على الجدّ إلى طريقة الهزل كبير انحرف أو لا ينحرف إلى ذلك لجملة، والواضح من كلامه هنا أنّه يسمي الخروج من الجدّ إلى الهزل انحرافًا" [20].

أمّا عبد لحكيم راضي فيعقد فصلاً كاملاً في كتابه"نظرية اللغة في النّقد العربي"تحت عنوان: "المثالي والمنحرف"، حيث يستخدم مصطلح الانحراف دون غيره، إذ يشير إلى أنّ الانحراف هو "الأساس في بحث اللغة الأدبيّة لذا فإنّ تعيينه أمرٌ لابدّ منه، كما أنّ تعيين الأصل خطوة ضرورية لتعيين الانحراف عنه كمًا وكيفًا"[21].

لذا فإنّ مصطلح الانحراف يعدّ واحدًا من المصطلحات المذكورة بكثرة في الدّراسات العربية الحديثة فهو مصطلح حديث النّشأة شأنه في ذلك شأن مصطلح الانز ح، لذلك نجده يتردّد بصورة مكثّفة في الدّراسات النّقديّة اللغوية الحديثة عكس مصطلح العدول الذي تعود جذوره إلى الموروث النّقدي العربي القديم.

"ومن الدّراسات الحديثة التي اعتمدت مصطلح الانحراف بدلاً من المصطلحات الأخرى، نجد صلاح فضل الذي اختار مصطلح "الانحراف" في أغلب ليفاته، ولكنّه حيث عالج فيه إشكالية مصطلح الانحراف في الدّراسات العربية الحديثة والقديمة ثمّ وضّح العلاقة بين الانحراف والمعيار، لينتقل إلى ظاهرة الانحراف في دراسة النّص الشعري، ويختم نصّه لحديث عن إشكالية المصطلح في الدّراسات العربية الحديثة والقديمة"[22]، ليخلص

إلى أنّه قد حدث تحوّل عن مصطلح الانحراف إلى الانز ح "لما يُخفيه مصطلح الانحراف من الحياء الأخلاقي السّلبي، لهذا عمد بعض الباحثين للتفتيش عن أسماء أخرى تصف ظاهرة الخروج على المألوف"[23]، وارتكز اهتمامهم على مصطلح الانز ح، هذا الذي شاع بشكل واضح في الدّراسات النّقدية العربيّة الحديثة.

الانز ح عند العرب:

تناول النّقد العربي قضيّة الانز ح من قبل، سلوب يُضاهي أحياً مستوى المدارس الأسلوبية الغربية الحديثة، وإن كان مصطلح الانز ح حديث النّشأة، إلاّ أنّ الظاهرة التي يدلّ عليها ليست جديدة، بل تعود جذورها إلى القدم، وإن كانت حاضرة بمُسميات مُختلفة. فنجد مصطلحات شتّى تُصادفنا عند قراءتنا للتراث الفكري العربي القديم منها: العدول، الالتفات، الضّرورة الشّعرية، الشجاعة العربية.

✓ الانز ح في الحقل النّحوي:

- عند النّحاة القدامى: راح جلّ النّحويين القدامى وحتّى المحدثين منهم لتفسير ظاهرة الانز ح على أنّها ظاهرة نحوية، سواءً كان ذلك خروجًا عن الأصل، أو عن القياس النّحوي أو خروجًا عن أنظمة اللغة، والشّائع والمطّرد منها، حيث نجد:
- الفراهيدي قد تناول ظاهرة العدول أو الانز ح لتفسير والتّحليل، إذ يقول:

"رجلاً رامح ورجلٌ كاس، وامرأة رامح وامرأة كاس، أي معها رماح وأكسية، والواجب في نعت النّساء ربّما ألقيت منه الهاء للوجوب"[24].

"والوجوب هنا راجع إلى المعنى، ففي حديث الخليل عن الجنس في هذا الصدد يوضّح أنّ المعنى هو الذي اقتضى نعت النّساء بصيغة هي في الأصل للمذكّر، أي أنّ تفسير العدول هنا بمعناه لا بلفظه كذلك سيبويه نجده يستعمل في كتابه مصطلح العدول بمعنى الخروج عن أنظمة اللّغة والشّائع المطّرد من قوانينها، أو كلامها مثله مثل أستاذه

الخليل، حيث عقد له ً، ويضرب بعد ذلك أمثلة نحو: عناقٌ، عقرب، عُقاب، عنكبوت... وهي صفات مؤنّثة إذا أطلقت على مذكّرٍ منعته من الصّرف، فسيبويه يبيّن أنّ العدول إنّما هو خروج عن الأصل، فجاء مثلة كثيرة في موضوع عرضه للعدول.

عند النّحاة المحدثين: "لم يختلف النحاة المحدثون عن القدامى في تفسير ظاهرة العدول،لهذا فإنّنا لا نكاد نجد نحوً قد أشار إلى العدول دون أن يعرّج على الحديث عن المطابقة، إذ أن الأشياء لا تُعرف إلاّ ضدادها، فإذا كانت المطابقة هي مطابقة الواقع ستعمال اللغة، فإنّ العدول هو الخروج عنه وهذا ما وضعه تمّام حسان في قوله: "أنّ النّحاة قد كوّنوا بنية ذهنيّة تجريدية مفارقة للاستعمال سمّوها "الأصول" فجعلوا الكل طائفة من العناصر أصلاً ترد إليه مفرداتها، فما وافق الأصل منها سُمّي مُستَصحبًا وما كان مُختلفًا عن أصله قيل أنّه معدول به عن الأصل"[25].

والملاحظ من خلال هذا القول أنّ تمام حسان اعتبر الكلام الموافق للأصل كلامًا مستصحبًا، وإذا خرج عن الأصل سمّي معدولا.

"حيث ذهب هؤلاء إلى أنّ العدول المجاوزة:"مسألة تصحّ في الشّعر وفي القراءات القرآنية، وأنّها محمولة على التصوّر الموسيقي الجمالي، لأنّها مسألة لفظية"[26]، وهذا يعني أنّ العدول له مستو ت معنوية وأخرى لفظية، فقد تي العدول في الأولى نحو: قوله تعالى:"الذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ"[27]، حيث جاء الضّمير فيها مؤنّثًا يعود إلى مذكّر وهو الفردوس حملا على معنى الجنّة [28].

ومن هنا كخلاصة لنظرة علماء النّحو إلى العدول نستشف نّ نظرتهم كانت واحدة، حيث عدّوها ظاهرة لغوية ونحوية تحتاج إلى بحث وتقصّي لصورها، كما أولو عناية كبيرة لمعنى حينما ربطوا هذه الظاهرة عند تفسيرهم لها.

✓ الانز ح في الحقل البلاغي:

"أمّا نظرة البلاغيين إلى ظاهرة العدول عن المطابقة أو الالتفات كما اشتهر عندهم، فإنّهم وقفوا عند هذا الباب طويلاً، فذهبوا إلى أنّ الالتفات عدولٌ عن مبحث المطابقة الذي نهض به النحاة واللّغويون"(29)، ومن ثَمَّ فإنّ هؤلاء قد أدركوا أنّ المستوى المألوف في اللغة يخضع للنظرة النّحويّة، بينما أصحاب النظرة البلاغية فيقرّرون أنّ المستوى الفنّي لا يمكن أن يتحقّق إلاّ بتجاوز كلّ ما هو مألوف، لأنّ الانحراف اللغوي "يتولّد أساسًا من الخروج عن الأُطُر المرسومة كلغة ومُخالفة العُرف المرتضى "(30).

"ومعنى القول أنّ طريق البلاغيين قد غاير طريق النّحويين، فإذا شُغل النّحويون بمستوى الأداء العادي، فإنّ البلاغيين قد عدلوا عن هذه المثالية وأدركوا أنّ لغة الأدب قد تتحوّل من النمط المألوف في اللغة إلى صور منحرفة تقوم على خرق ما هو معروف في النّظام النّحوي، وهكذا حرص البلاغيون دائمًا على التّذكير لمستوى العادي للغة، والتنّبه له في مثل قولهم: أصل المعنى، أصل الكلام، رعاية الأصل، وهو في نظرهم لرّغم من ذلك يخلو من أيّ قيمة فنيّة " (31).

أمّا إذا عد إلى التّراث فإننا نجد أنّ أ عبيدة قد التفت إلى ظاهرة الانز ح بكثرة، كما عُرفت عندهم بمصطلح "العدول"، حيث يُشير إلى توظيف صيغة المفرد مثلاً مكان صيغة الجمع، وكانت مدوّنة آ ت بيّنات من الذّكر الحكيم، فمثلاً في قوله عزّ وجلّ: "يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً"(32)، ويرى أنّه من مجاز ما جاء لفظه لغة واحدة الذي له جماع منه، ووقع معنى هذا الواحد على الجميع، فقال تعالى:"يُخْرِجكُ ُمْ طِفْلاً" بدلا من أطفالاً.

وعلى هذا النّحو يقف أبو عبيدة عند العدول عن صيغة المضارع إلى صيغة الماضي في قوله تعالى: "و الذي أَرْسَلَ الرِّ َحَ .....فَسُقْنَاهُ إلىـبَلَدٍ مَيّتٍ فَأَحْيَيْنَا .....ـبَعْدَ

مَوْتِهَا كَذَلك النُّشُورُ..."[33]، فيقول ومجاز(فسقناه)_ (فنسوقه)، والعرب قد تضع "فعلنا" في موضع "نفعل" كقول الشاعر:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحًا مني وما يسمعوا من صالح دفنوا

في موضع: يطيروا ويدفنوا.... [34].

قال القيرواني: "فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه، أو استظراف لفظٍ وابتداعه أو ز دة فيها أجحف فيه غيره من المعاني، أو نقُص ممّا أطاله سواه من الألفاظ أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر"[35]. وهو يعني بهذه المقولة أنّ الشاعر إذا لم تكن عنده القدرة ،أو التمكّن من اللّعب للغة ومراوغتها كيفما شاء،سواء بتكار ألفاظ جديدة أو توليد معنى من معنى آخر، أو ز دة المعاني التي نقُصت عند غيره، أو عكس ذلك بمعنى إنقاص المعاني الزّائدة عند الشعراء الآخرين، فهذا الشاعر المرسِل لا يرتقي أبدًا إلى مصاف الشعراء الحقيقيين، لأنّ الشّعر وكما يُعرّفه ابن خلدون:

"هو الكلام البليغ المبنيّ على الاستعارة والأوصاف المفصّل جزاء متّفقة في الوزن والروّي، مستقلٌ كلّ جزء منها في غرضه ومقصده عمّا قبله وبعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة به"[36]. وبهذا فإنّ للشعر خصائص تميّزه وتجعله مُثقل لدّلالات والإيحاءات ممّا يبعده عن كونه نثر، فحينما قسّم ابن خلدون الكلام إلى فنّي النّظم والنّثر.

"كما كانّ تركيز هؤلاء النّقاد والبلاغيين القدامى يتمحور حول فكرة عدم تناهي المعاني النابعة أساسًا من فكرة دوام الإبداع واستمراره، إلاّ أنّ هناك نفر من النقاد يذهب للقول نّ القدماء قد استنفذوا كلّ المعاني ولم يتركوا شيئًا للمتأخّرين"[37]، "وكان هذا الاعتقاد كما يقول إحسان عباس أحد الدّوافع لما عُرف في النقد العربي " لسرقات الأدبية"[38].

ويُضيف مصطفى صف قائلاً: "إنّ النّقد العربي نظر إلى الشعر على أنّه تراث جماعي و لم يكن ينظر إل الشعر على أنّه تراث أمرؤ القيس و زهير والنابغة و الأعشى و ذي الرمّة وغيرهم... ومن هنا ظهرت المسألة المعروفة سم السرقات"[39].

"ومهما يكن للسرقات الأدبية من إساءة إلى النقد العربي وكذا إلى الشعر، إلاّ أنّه من جانب آخر لا يُناقض من ربط مبحث السرقات علاء شأن الأصالة والتجديد والإبداع" [40]، "لأنّه قد تكون تلك السرقة التي خذها شاعر محدث عن آخر قديم عدول أو انحراف، ومن ثَمّة فإنّه من الممكن أن ينظر إليها نظرة فنيّة، وعلى أنّها مجال من مجالي الإبداع لدى المتأخر"[41].

ومن خلال ما ذكر ه نستشفّ نّ الانز ح كمصطلح قد واكب ظهوره فيخرج بذلك عمّا هو مألوف فمثلاً نجد الجرجاني يورد قول "ذي الرّمة :

و شعرٌ قد أرقتُ لهُ غَريب أجنّبهُ المسانَدة والمثالا

"يعني الشاعر هنا بهذا القول أنّه ممّن يُحسنون الإصغاء إلى الشعر فيُميّزون جيّده من رديئه، ولكنّه لا يريد أن ينظّم على منواله أو كما يشرحه عبد القاهر الجرجاني، فالشاعر يريد أن يقول: لا أحذوها على شيء سمعته"[42].

* في الحقل النّقدي:

"تركّز انتباه النقّاد والشعراء العرب أيضًا على الانز ح سواءً منهم القدامى أو المحدثين على غرار النّحويين البلاغيين، حيث برزت مظاهره عند القدامى من خلال إقامتهم للمُفاضلات بين الشعراء، ومن ذلك ما يروي عن مفاضلة الأصمعي بين بشّار ومروان ، حيث فضّل الأصمعي عن بشّار عتبار لجوئه إلى الجديد في شعره، أمّا مروان فقد سلك

نهج القدماء فقال: "أنّ مروان أخذ بمسالك الأوائل سلك طريقًا كثُر سلاّكه فلم يلحق بمن تقدّمه، وإنّ بشّارًا سلك طريقًا لم يسلكه أحد، فانفرد به وأحسن فيه"[43].

"ويُقارن الخطابي بين امرئ القيس والنّابغة في وصفهما لليل، فيخلص إلى أنّ أبيات امرئ القيس فيها من ثقافة الصّنعة وحسن التّشبيه وإبداع المعاني ما ليس موجودًا في أبيات النّابغة"[44]، فأضحت المفاضلة بين الشعراء تنصبّ حول مسألة الإبداع الفنّي وحسن السّبك وابتداع المعاني، ممّا يؤكد أنّ الانز ح وإن كان كمصطلح غير معروف كما أسلفنا الذّكر عند العرب القدامى، إلاّ أنّ مفهومه يغوص في أعماق التّاريخ، لأنّ المفاضلة أو حبّ التّميز عند الشعراء لا تمثّل سوى صورة من صور الانز ح.

ومن خلال مفهوم عمود الشعر يمكن أن نستخلص الشّروط التي وضعها النّقاد واعتبروها أساسًا ينبغي للشاعر أن يتّبعها لكي يضمن رضى النقاد عنه، فيكون بذلك التراث هو محور الفنّ عندهم.

"وكذلك أبو نواس كان من أولئك الذين امتلكوا الشجاعة للتّغيير في تلك القواعد وكسر النّظام السائد، فقد تجاوز رموز الحياة القديمة رافضًا الحياة البدوية، داعيًا إلى نمط حياتي آخر يقتضي لضّرورة نمطًا تعبيرً آخر، وهكذا يمكننا أن نعدّ أ نواس بداية شبه كامل للخروج عن المألوف، فهو يرفض حياة البداوة ويرفض التّعليمية الدّينية بخاصية في شكلها الأخلاقي، فكان يدعو إلى الحياة المدنية وتجاوز هذه التعليمية، "فيتّخذ أو نواس من المجون قناعًا يختفي وراءه، ومن السكر الذي يحرّر الجسد من رقابة المنطق والتقاليد رمزًا للتّحرّر الشامل. هذا الرمز بمثابة بؤرة هائلة من التّحولات، والخمرة فيه ليست الخمرة... بل هي ما ترمز إليه"[45]. فقد سخر أبو نواس في شعره من تصوّر الشعراء الجاهليين وحياتهم، ودعا للثورة عليهم وتخطيهم نحو العقلية والحياة الجديدين، في سبيل إيجاد لغة شعرية وقيم

جمالية جديدة، كما رافق كلّ ذلك محاولات ابتكار إيقاعات و أوزان شعرية لم لفها العرب.

هكذا نجد أنّ العرب القدامى سواء كانوا من أهل النّحو أو البلاغة أو النّقد أو الشعر، حتى وإن لم يستعملوا مصطلح الانز ح أو الانحراف مثلما تستعمله الدّاراسات الحديثة، فقد تداولوا فيما بينهم الحديث عن الظاهرة ودلالاتها، مستعملين مصطلحات أخرى تُلائم السّياق التّاريخي والمعرفي الذي تولّدت فيه دراساتهم.

المصادر والمراجع

[1]- لسان العرب، ابن منظور، مج4، ط4، دار صادر بيروت، ص : 86.

[2]- مقاييس اللغة، ابن فارس، ج3، اتّحاد الكتاب العرب_دمشق_2002م، ص: 39

[3]- أساس البلاغة ، الزمخشري، ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1419هـ ، ص : 428.

[4]- المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف وآخرون، دار المشرق بيروت، ط2002،39 م، ص : 314.

[6]- الأسلوبية الرؤية والتطبيق، يوسف أبو العدوس، ، دار المسيرة،الأردن، ط1، 2007 م، ص : 7.

[7]- بنية اللغة الشعرية، جون كوهن، دار توبقال، ط1، المغرب، 1986م، ص: 16.

[9]- الأسلوبية الرؤية والتطبيق ، يوسف أبو العدوس ، ص: 188.

[11]- بنية اللغة الشعرية، جون كوهن ص : 15.

[12]- المصدر نفسه ، ص : 6.

[13]- الأسلوبية وتحليل الخطاب نور الدين السد، ج1، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، عمان،الأردن، 2007م، ص194.

[14]- المرجع نفسه ، ص : 269.

[12] - مفاهيم شعرية، حسن ظم، ، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، الحمراء، 1994، ص117.

[19]- الانز ح من منظور الدّراسات الأسلوبية، أحمد محمد ويس، ص : 46_47.

[21]- المرجع نفسه، ص : 117.

[22]- الأسلوبية والأسلوب ، عبد السلام المسدي، ص : 124.

[24]- المصدر نفسه ، ص :273.

[26]- الانز ح في التراث النقدي والبلاغي، أحمد محمد ويس، ،إتحاد الكتاب العربي، سور ، 2002، ص39.

[29]- الانز ح من منظور الدّراسات الأسلوبية، أحمد محمد ويس، ص : 34_35.

[30]- المرجع نفسه، ص: 34.

[31]- منهاج البلغاء وسراج الأد ء، أبي الحسن حا زم القرطاجنّي، ، دار الكتب الشرقية، د/ط، د/ت، ص : 328.

[32]- نظرية اللغة في النقد العربي، عبد الحكيم راضي، ، مكتبة الخانجي، مصر،د/ط . د/ت، ص : 210.

[33]- موسى سامح ر بعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص: 43.

[34]- المرجع نفسه، ص : 44.

[39] - نحو الخليل من خلال معجمه ، هادي نهر، ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، د/ط، عمان،الأردن، د/ت، ص:62.

[42]- خواطر في مّل لغة القرآن الكريم، تمّام حسان، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1427هـ 2006م،

ص : 101_102.

[44]- ظاهرة العدول عن المطابقة في العربية، حسين عباس الرفايعة، ، دار جرير للنشرو التوزيع ،ط1، عمان، الأردن

1426هـ 2006م، ص : 49.

[27] - سورة المؤمنون، الآية 11.

[46]- ظاهرة العدول عن المطابقة في العربية، حسين عباس الرفايعة، ص : 55.

[47]- المرجع نفسه، ص : 66.

[48]- الأسلوبية، مدخل نظري ودراسة تطبيقية، فتح أحمد سليمان، ، تح: طه وادي، مكتبة الآداب، القاهرة، 1425هـ، 2004، ص : 23 وما بعدها.

[49]- البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ص 269_270.

[32] - سورة الحج، الآية 5.

[33] - سورة فاطر، الآية 9.

[37]- مجاز القرآن، أبو عبيدة بن معمر المثنى، ج2، تح: فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، ص: 151.

[38]- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو الحسن بن رشيق القيرواني، ج1، دار الجيل للنشرو التوزيع والطباعة، د/ط، د/ت، بيروت-لبنان_ ص: 116.

[39]- المقدمة، عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون، ج1، دار العلم للجميع، د/ط، بيروت،لبنان، د/ت، ص: 573.

[40]- الانز ح في التراث النقدي والبلاغي، أحمد محمد ويس، ص : 25.

[41]- ريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، دار الشروق، د.ط، عمان، 1986، ص : 39.

[42]- نظرية المعنى في النقد العربي ، مصطفى صف، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ص 100.

[43]- الانز ح في التراث النقدي والبلاغي، أحمد محمد ويس، ص: 28.

[44]- المرجع نفسه، ص: 27.

[45]- ، دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ،ص: 471.

[46]- الانز ح في التراث النقدي والبلاغي، أحمد محمد ويس، ص: 18.

[47]- المرجع نفسه، ص: 18.

[48]- المصدر نفسه ، ص : 62.